أزمة الهوية في فكر الشباب الجزائري

Identity crisis in the thought of Algerian youth

بوترعة بلال[*1]، حافي آسيا[2]

جامعة الشهيد حمه لخضر (الوادي-الجزائر) bouterabelal@gmail.com

جامعة الشهيد حمه لخضر (الوادي-الجزائر) fifa2308@gmail.com

ملخص:

لا نتردد أبدا بأن نقول أننا نعيش أزمة هوية بكل المقاييس في مجتمعانا العربي والجزائري خصوصا. إذ تتجلى مظاهر هذه الأزمة بدفاع الشباب بقوة عن أفكار دخيلة عن ديننا الإسلامي وعاداتنا السوية وأعراف مجتمعنا، دون خلفية فكرية صحيحة، مما دفع بكثير من الكتاب والسوسيولوجيين إلى تسليط الضوء على هذه الخلفيات التي تصدر عن منابع منها ما هو مهجول ومنها ما هو معروف لدى الجميع، بشكل منظم ومدروس، لنجد ان ازمة الهوية العربية والجزائرية ليست من ظواهر المجتمع التي يصنعها التفاعل الإجتماعي الطبيعي، وإنما هي من صنع برامج مدروسة حققت مبتغاها في خلق أزمة الهوية في فئة الشباب العربي والجزائري. لينعكس ذلك على البنى التحتية لمجتمع التي أصبحت اليوم تتميز بحراك إجتماعي ملحوظ، هذا الحراك مع الغليان الإجتماعي الشديد الذي سببته الظروف الإجتماعية القاسية مع التخطيط الخارجي لخلق إزمة الهوية. يشكل مزيج قوي للمساس بروح إنتماء الشاب على مجتمعاتهم.

الكلمات المفتاحية: الهوية، اللامعيارية، إزمة الهوية، الشباب الجزائري، الإنتماء.

Summary:

We never hesitate to say that we are experiencing an identity crisis by all standards, especially in our Arab and Algerian societies. The manifestations of this crisis are manifested by the youth's vigorous defense of extraneous ideas about our Islamic religion, our normal customs and the norms of our society, without a correct intellectual background. In an organized and thoughtful manner, let us find that the Arab and Algerian identity crisis is not one of the phenomena of society that is made by natural social interaction. Rather, it is the creation of thoughtful programs that have achieved their goal in creating an identity crisis in the Arab and Algerian youth groups. This is reflected in the infrastructure of a society, which today is characterized by remarkable social mobility, this mobility with the severe social ferment caused by the harsh social conditions with external planning to create an identity crisis. It forms a strong mixture of undermining the spirit of the youth's belonging to their communities.

Key words: identity, non-normality, identity crisis, Algerian youth, belonging.

* بوترعة بلال

1- مقدمة

شعب الجزائـر مــسلم والــى العروبــة ينـتـسب
من قال حاد عن أصله أو قـــال مـات فقد كـذب
أو رام إدمـــاجــا لـــه رام المـــحـال مــن الطالب
يا نشــأ أنـــت رجـاؤنا وبـك الصـباح قد إقتــرب

لا نحتاج إلى قراءة حروف هذه الكلمات لأنها محفورة في أذهاننا منذ الطفولة، وزرعت فينا روح الإنتماء وغيرة الجزائري على وطنه وأصوله، وبعيدا عن خلفيات كتابة هذه الابيات للأمام عبد الحميد ابن باديس. لم يؤثر وجود عرقيات متشعبة في كامل التراب الوطني. إلا أن الوحدة الوطنية كانت وتدا قامت ولاتزال القيم الجزائرية قائمة عليها. إذ لا يعاب على الفاعلين في مجتمعنا بخروجهم عن المألوف والمعتاد، من باب التغيير والبحث عن سبل الراحة والترفيه، فلم تعد المقتنيات القديمة او ما صنع على يد الانسان يحمل جمالا وحسنا أكثر مما أصبح يحمل اصالة الماضي الذي ابتعد عنا كثيرا رغم قربه، فلو اقتصر حال المجتمع على المقتنيات المادية فقط. لما كان تأثيرها على الفكر البشري بهذه الدرجة، وانما قد فقد الفاعل في هذا المجتمع الاصالة في فكره وطريقة عيشه، بان يسهل عليه الانسلاخ من كل جذوره بكل سهولة ودون عناء يذكر. خصوصا إذا تحدثنا عن فئة الشباب التي تزيد خطورة الظواهر الاجتماعية كلما اقتربت من هذه الفئة، فقضية الهوية الجزائرية التي تتخبط اليوم وتصارع غزو فكري يدفعنا لان نقول انه قد سيطر بشكل او باخر في فكر الشاب الجزائري ليكون هذا الطرح انطلاقة لتحدي تساؤل هذه الورقية البحثية:

ما هي طبيعة ازمة الهوية في فكر الشباب الجزائري؟

1-1 المصطلحات المتعلقة بالبحث:

1-1-1 مفهوم الهوية:

هي التي تشير إلى شخصية كل فرد، وتحتوي على المعلومات الرئيسية الخاصة به، وتعرف أيضا بأنها مجموعة من المكونات الاجتماعية والإنسانية، التي تدل على الأفراد داخل مجتمعهم، وتمنحهم صفة قانونية للتصرف بحرية مطلقة تحفظها لهم الأحكام الدستورية، والتشريعية المحلية، والدولية. يدل مفهوم الهوية أيضا على العمومية فليست بالضرورةِ أن ترتبط بكل فرد على وجه الخصوص، حيث إن المنظور العام للهوية يشير إلى فئة أو جماعة من الناس تتبع لدولة، أو منطقة، أو جهة معينة، مثل: الهوية العربية، والتي تشير إلى العرب، أما عندما نقول الهوية اليابانية فهنا تكون الإشارة إلى الشعب الياباني كأفراد تابعين للدولة https://mawdoo3.com

1-1-1-1 التعريف الاجرائي للهوية:

قبل تحديد التعريف الخاص بالهوية علينا الإشارة على مصطلح مرتبط بها. وهو (الانتماء) اذ فبالرغم من ارتباطهما الا انه يختلف عنه، فالانتماء مفهوم واسع ونطاقه اوسعك الانتماء الى فريق معين، وأحيانا يكون ضيقا كالانتماء الى منطقة او اسرة او قبيلة، اما الهوية لها مستويات متعددة ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالقناعة، أي قناعة الشخص بانه جزء من قيم معنوية او رقعة جغرافية ما، ولن

تتحقق هذه القناعة ما لم يكن الفاعل في هذا المجتمع مستفيدا من مصدر تشكل هويته، سواء كانت حماية. رعاية. مكانة اجتماعية، قوة... الخ. وتختلف هذه القيمة حسب رغبة الفاعل في ربط مقومات هويته بهذا المجتمع. تعرف ايضا على انها:

1-1-2 مفهوم تفكك الهوية:

هو مفهوم يرتبط بالحالات النفسية عند الأفراد بشكل مباشر، إذ يفقد فيه الإنسان معرفته بذاته، وبالتالي يعاني من مشكلات نفسية، وسلوكية، فلا يظهر أي اهتمامٍ بالتعرف على نفسه وهويته، ليصبح مجرد كائن حي، لا يمتلك أي دور في الحياة المحيطة به، وينتشر تفكك الهوية أيضا عند الأشخاص الذين يعيشون خارج بيئة عائلية سليمة، ويجدون أنفسهم بلا بيت، أو مأوى منذ ولادتهم، ويعيشون في الظروف ذاتها حتى وفاتهم.https://www.waqi3.com

1-1-3 مفهوم تشتت الهوية:

طبعا هي تمثل مستوى ضعيفا بالاستكشاف وضعيفا بالالتزام أيضا، فالشاب في هذا المستوى يعاني من هوية مشتتة هو لا يحاول استكشاف ذاته ولا معتقداته ولا أهداف محددة له، يعيش اللحظة وحسب، سلوكه بالحياة سلبي، فهو يدرس لأن عليه أن يدرس وليس له تخصص محدد يود دراسته بالجامعة، قد يكون بديانة ما لمجرد أنها ديانة ولد بها، ليس له رأي محدد في كثير من جوانب الحياة المهمة، يعيش فقط لأنه حي يرزق. **https://www.waqi3.com**

1-1-4 مفهوم تأجيل الهوية:

عكس إعاقة تكوين الهوية فإن توقيف الهوية تمثل مستوى عاليا في الاستكشاف وضعيفا في الالتزام وهي تعبر عن مرحلة يمر فيها الفرد بأزمة الهوية، فالشاب يطرح عدة تساؤلات يتركها مفتوحة بلا إجابة سعيا للاستكشاف، هو غير ملتزم بهوية محددة لأنه مازال يبحث مؤجلا هويته، يريد أن يعرف من هو تحديدا ويعيد النظر في معتقداته وانتماءاته، كما أنه ربما لم يحدد هدفه في هذه الحياة وما يرغب في أن يفعله.

https://www.waqi3.com

1-2 مصادر الهوية حسب تصنيف هنتكتون:

لدى الناس عدد غير محدد تقريبا من المصادر المحتلة للهوية، وتلك المصادر تتضمن بالدرجة الأولى :

- ✓ السمات الشخصية: وتشمل العمر، السلالة، الجنس، القرابة (قرابة الدم)، الاثنية كالقرابة البعيدة، العرق
- ✓ السمات الثقافية: وتشمل العشيرة، القبلية، الاثنية (معرفة كطريقة للحياة)، اللغة، القومية، الدين، الحضارة.
- ✓ السمات الإقليمية: وتشمل مركز الدراسات الإقليمية دراسات إقليمية الجوار، القرية، البلدة، المدينة، الإقليم، الولاية المنطقة، البلد، المنطقة الجغرافية، القارة، نصف الكرة الأرضية

- ✓ السمات السياسية: وتشمل الانشقاق ضمن الجماعة، الزمرة، القائد، الجماعة ذات مصلحة معينة، الحركة، القضية الحزب الأيديولوجية، الدولة .
- ✓ السمات الاقتصادية: وتشمل الوظيفة، الشغل، المهنة، مجموعة العمل، المستثمر، الصناعة، القطاع الاقتصادي، الاتحاد العمالي، الطبقة .
- ✓ السمات الاجتماعية: وتشمل الأصدقاء، النادي، الفريق، الزملاء، مجموعة وقت الفراغ، المكانة الاجتماعية.

ويحتمل إن يكون أي فرد مرتبطا" في كثير من هذه المجموعات، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنها مصادر هويته. فقد يجد الشخص مثلا في عمله أو بلده مقيتا ويرفضه برمته، فضلا عن كون العلاقة بين الهويات ذاتها معقدة، العلامة المميزة عندما تكون الهويات منسجمة في المطلق، لكن أحيانا قد تفرض هوية ما كهوية الأسرة وهوية العمل متطلبات متنازعة على الفرد أما الهويات ضمنا في الهويات الأضيق، والهوية الأصغر التي هي في إقليم ضمنا على سبيل المثال، قد تضارب مع الهوية الأكبر التي هي في بلد معيناً ضمناً وقد لا تتضارب، فضلا عن ذلك فأن الهويات التي من نوع واحد قد تكون حصريا أو لا تكون فالناس مثلا قد يؤكدون على ازدواجية القومية ويدعون أنهم ايطاليون أو أمريكيون في آن معا، غير آن من الصعب أن يؤكدوا على ازدواجية الدين، ويزعمون أنهم مسلمون وكاثوليك في الوقت ذاته. وتختلف الهويات في شدتها أيضا دراسة في مفهوم الهوية حبيب صالح مهدي وغالبا ما تتنوع الشّدة عكسيا في مجالها ويتميز الناس على نحو شديد بعائلتهم أكثر مما يتميزون بحزبهم السياسي، ولكن ليست تلك هي الحال باستمرار فضلا عن تنوع السمات البارزة في الهويات من كل الأنواع بالتفاعلات بين الفرد أو المجموعة وبيئتها. **(صومائيل.2005.ص 37)**

قد تبتعد الهوية عن مجتمع ما وفي ظروف زمنية محددة، ولكنها سرعان ما تعاود لبناء نفسها، فالمجتمعات المأزومة تعاني خللا" تركيبيا "في بنائها يقودها في بض الأحيان إلى التفكك والتشرذم تحت عناوين وهويات فرعية (ثانوية) لا تقوى على الصمود والاستمرار لوحدها نتيجة للتزاحم المفترض فيما بينها، أو مع محيطها الإقليمي والدولي.

أن قراءة سريعة لأزمة الهوية عالميا" نجد أنها ليست مشكلة مجتمع بذاته، بل هي مشكلة مجتمعات عدة كما يصفها هنتكتون، إذ يقول، ليست أميركا فريدة في أن لديها مشكلة هوية، النقاشات الوطنية سمة عالمية لزمننا، ففي كل مكان تقريباً تساءل الناس وأمعنوا النظر وأعادوا تعريف ما هو مشترك لديهم وما يميزهم عن الشعوب الأخرى: من نحن؟ والى أين ننتمي؟ فاليابانيون يتنازعون على ما إذا كان موقعهم وتأريخهم وثقافتهم تجعلهم آسيويين؟ أو أن ثروتهم وديمقراطيتهم وحداثتهم تجعلهم غربيين؟ لقد وصفت إيران بأنها امة تبحث عن هوية وجنوب أفريقيا منشغلة في البحث عن هوية والصين كذلك سوريا والبرازيل حسب رأي هنتكتون تواجهها أزمة هوية، أما كندا فتواجه أزمة هوية دراسة في مفهوم الهوية حبيب صالح مهدي مستمرة والدانمرك أزمة هوية حادة والجزائر أزمة هوية دموية مدمرة وتركيا أزمة هوية فريدة تقود إلى جدال ساخن حول الهوية الوطنية، وروسيا أزمة هوية عميقة ، تعيد فتح جدال القرن التاسع عشر الكلاسيكي بين ذوي النزعة السلافية وذوي النزعة

الغربية، في ما يتعلق بكون روسيا بلدا أوربيا عاديا أو بلدا آسيويا مختلفا بشكل واضح .وفي المكسيك تتقدم أسئلة حول هوية المكسيك إلى الواجهة. الشعب الذي عرف بألمانيتين مختلفتين ديمقراطية وأوربية غربية تواجه شيوعية واو ربيه شرقية، يناضل لإعادة خلق هوية ألمانية مشتركة.

ومن هنا اتضح أن العالم بأجمعه تقريبا مأزوم بقضية اسمها الهوية، وقد تكون هنالك عوامل مهمة أدت إلى بروز الهويات الثانوية والتي أصبحت تشكل عبئا" على الهويات الرئيسية أو التقليدية، ومن بين أهم هذه العوامل، هي التطور التكنولوجي وولوج العالم مرحلة العولمة بكل أشكالها، وبروز دور الأقليات في التعبير عن ذاتها من خلال استخدام تقنيات والاتصالات والأعلام والمناخ الدولي المشجع لها. والعامل الآخر هو التحول الديمقراطي، ونهاية الأيديولوجيات التقليدية، وبروز دور الاقتصاد الحر كسمة عامة ولازمة في اغلب أرجاء العالم. **(حبيب صالح مهدي، دت، ص08)**

1-3 البعد السوسيولوجي للهوية:

يتميز الترابط الإنساني عن غيره من أنواع الترابط الأخرى بالخاصية المعيارية، وهي من الخاصيات الجوهرية التي تميز الإنسان عن كافة أنواع المخلوقات، فمثلا :نجد بعض الأنواع الحيوانية تعيش نوعا راقيا من أنواع الترابط الاجتماعي مثل النمل والنحل والغنم والذئاب والخيول وما إلى ذلك، ولكن لا يخرج هذا الترابط عن كونة منتوجا لعوامل بيولوجية محضة، اي أن العامل الوراثي هو العامل الحاسم في تحديد هذه الحياة الحيوانية، أما الإنسان فإنه يختلف عن ذلك في أنه ليس اجتماعيا فحسب وإنما يعيش حياة اجتماعية ترابطية يستحيل وجودها لدى أي نوع من أنواع الحيوانات الأخرى على الإطلاق وسبب ذلك هو هذه الخاصية المعيارية المتمثلة في الثقافة على أن هذه العوامل المميزة للإنسان هي عوامل مكتسبة وليست عوامل فطرية مثل بعض الكائنات بمعنى أن الفرد لا يولد مزودا بالمعايير و الهوية والأنماط الثقافية السائدة في مجتمعه وإنما هو يكتسبها من الآخرين، وتنقل من جيل إلى آخر بواسطة العلاقات الاجتماعية، كما أنها تتميز بالطابع التراكمي لأن اي جيل يضيف من عنده شيئا يقل أو يكثر إلى التراث الثقافي الموجود. **(بن نعمان أحمد،1988 ، ص124)**

من هذا المنطلق فالمعايير الاجتماعية هي فعل ما من شأنه ضبط وتنظيم السلوك والعلاقات والتفاعلات داخل الجماعة أو المجتمع من عناصر ومكونات ثقافية اجتماعية، والتي هي باعتبار ما سبق يمكن أن تتغير من بيئة إلى أخرى ومن فترة تاريخية إلى أخرى مما قد يحدث أشكال مختلفة من المشكلات والصراعات وعلى مستويات عدة) بين أفراد وجماعات وقيم. الانسلاخ الثقافي وصراعات المعايير غني عن الذكر أن الجزائر كدولة تتمتع بالاستقلال والسيادة منذ أكثر من نصف قرن 52 سنة وبعد فترة من الاستعمار الفرنسي دامت أكثر من قرن وربع القرن 1830 م 1962م (قد مرت خلال هذه المراحل التاريخية بأحداث وتغيرات وتحولات مسّت جميع الجوانب) الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والثقافية (مضافة إلى موروث تاريخي مميز بخصوصية المنطقة وشعوبها، قد أدى كل هذا إلى حدوث تغيرات تتفاوت درجة عمقها ورسوخها .تبعا لعوامل قد لا يكون من السهل حصرها وضبط تصنيف دقيق لها في مداخلتنا هذه، اذ إننا نركز في هذه النقطة على أثر ما حدث ويحدث مما ذكرناه من مراحل وتبعاتها من تغيرات وتحولات على مستوى الهوية الاجتماعية والثقافية ونسق القيم.

وبنيات المؤسسات الاجتماعية المختلفة ووظائفها.اذ إنه وعلى سبيل المثال لأسباب تاريخية واجتماعية اقتصادية تنغمس الجزائر المعاصرة في مناخ من الفاصل الثقافي .أننا نصف هذا الوضع بأنه ثقافي، ونفسره بعاملين:

– النتائج الاجتماعية الثقافية للمرحلة الاستعمارية لاسيما منها إشراب السكان القهري تقريبا بالقيم والنماذج الغربية وبدايات عملية الانسلاخ الثقافي.

–المحصلات الكلية للتغير الاجتماعي في الجزائر وخصوصا محصلات التصنيع السريع الذي أصبح أثر الحصول على الاستقلال الوطني، خيارا ذا أولوية في عملية التطور .هذا التصنيع الذي ان مؤهلا لتعزيز انطلاقة البلد الاقتصادية أدى إلى ضرورة انفتاح واسع النطاق على الثقافة وكيفية العيش الغربيتين، أن هذا الانفتاح أدى إلى إيجاد آثار ثانوية غير مرغوب بها من بينها إغراق القيم التقليدية بالنماذج الغربية، مما دفع الجزائر إن لم يكن إلى وضع ذي أزمة ثقافية، فعلى الأقل إلى جو عام من "التشوش الثقافي ."الأمر الذي يدعو وبإلحاح إلى توضيح معالم المنظومة الاجتماعية والثقافية الجزائرية، هل هي حديثة أم تقليدية أم هي في مرحلة انتقالية؟ أم أنها تقليدية ولكن بمظهر يتماشى وطبيعة الحداثة التي فرضتها وتيرة التحولات العالمية؟ خاصة والعالم يعيش اليوم أشكالا مختلفة من الغزو الفكري والثقافي والحضاري وبأنواع تتسع قائمتها من الوسائل والأساليب والطرائق التي نوضح تأثيرها البارز من خلال التغيرات التي أحدثتها التحولات الاجتماعية المختلفة. **(نور الدين طوالبي، 1988، ص 66**

وقبل ذلك نناقش ففقدان الهوية في سلوك الفرد الجزائري في منظور إحدى أهم النظريات الحديثة المفسرة له وهي نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية التي تكشف في جوانب لها عن مصادر مجابهة الفرد الجزائري للتجديد أو الحداثة وما يتضمنه هذا السياق النفسي الاجتماعي من مظاهر وتفاعلات ومواقف صراعية عديدة في الممارسات الاجتماعية:

نطلق فرضي يوجد مصدرين محرضين لحالة الأنوميا او اللامعيارية داخل المجتمع الجزائري، أحدهما ينبثق من انتماء لثقافة تقليدية تتسم بوسط عدواني حر التصرف تسير المنظومة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها وتسخر هذه الأخيرة) المنظومة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها (وتكرس لخدمتها وهي تمنع بذلك كل ما يعارضها من أسس وشروط لإحداث التجديد، كما بينت هذا نظرية المواجهة النفسية والاجتماعية.

ان السلوك يتكون من نوعين مختلفين :السلوك الشفوي والسلوك الجسدي، أو الفعل تحت صيغته المادية البارزة .أن يتكامل عامة، هذان النوعان من السلوك في المجتمعات المتقدمة، فإنهما غريبان عن بعضهما البعض أحيانا ومتناقضان في حالات شتى ضمن المجتمعات المتخلفة .لقد رأينا أن ما يقوله ممثلو هذه المجتمعات وما يقومون به يكونان حسب الظروف، سياقين متوازيين أو متناقضين .فيستنتج المتتبع للحياة الاجتماعية في المجتمعات المتخلفة وجود ما يمكن اعتباره قاعدة اجتماعية معمول بها بصفة متتالية غير متقطعة، يمكن التعبير عليها من جديد بالطريقة التالية :لا ينبئ الانتماء الاجتماعي بالممارسة الاجتماعية ولا تجسد الممارسة الاجتماعية الانتماء الاجتماعي

لماذا؟ إن سر هذا التباين متعلق باختلاف ركائز السلوك الشفوي والسلوك الفعلي. **مظهر سليمان، 2010، ص40**

ويرتبط السلوك الشفوي بالمعالم الاجتماعية المعترف بها، المعالم التي يوجد بد من التظاهر بالامتثال لها .لا يسأل شخص مثلا إلا وأثبت حسب الميدان الاجتماعي الذي يكون متواجدا فيه أنه مع الوحدة العائلية أو الوطنية والتآخي والتعاضد والتعاون والشرف والكرامة والكرم والعمل والقانون والمصلحة العامة وما إلى ذلك من القيم والمبادئ التي يبدو كل متشبثا بها بمجرد ما يتناول الكلمة بصفة رسمية .أما السلوك الفعلي، أي الممارسة الاجتماعية بمعناها العملي إن صح التعبير، فإنه مرتبط بالظروف وهي عرضة للتقلبات .لهذا، يكون السلوك الفعلي مضطرب غير مستقر، يعاكس بدرجات متفاوتة ما يقره السلوك الشفوي .فعلى سبيل المثال لا تحترم المواعيد والقوانين والمصلحة العامة إلا لما يستحيل إهمالها في المجتمعات المتخلفة

مظهر سليمان،2010 ، ص 42

وأخيرا تبين المتابعة العلمية للسلوك شفويا كان أو فعليا أنه يتمحور حسب انشغالات الأشخاص والشبكات العلاقانية والجماعات، حول التكيف مع الأوضاع الراهنة وانتهاز الفرص، أو الانتهازية، والحيلة والكتمان والكذب والتفاخر والتضخم والصبر والخيانة والاحتكار والتحصيل الآني والتسلط والخضوع ونكر الجميل ...كما يبين الاعتناء بهذه العناصر التي تتمحور حولها الممارسة الاجتماعية أنها تمثل آليات نفسية اجتماعية ثقافية ناجمة من ثقافة قديمة عريقة هي الثقافة التقليدية

إذن فالنظرة المدققة والموضوعية للسلوك تستدعي تفصيلا أولا في أقسام السلوك ثم في الجوانب المتحكمة أو المؤثرة في كل نوع، وان دل وجود التناقض والصراع بين أقسام السلوك المختلفة سواء الداخلية مع الخارجية أو الشفوية مع الفعلية إن دل على شيء فإنما يدل في أبسط صوره على حالة من التشتت الوجداني السلوكي وعدم الانسجام النفسي الاجتماعي .وتزداد هذه الحالة تأزما وتتعدد المظاهر السلوكية غير السوية كلما ازدادت هوة التناقض في تفاعل العوامل الذاتية والموقفية، وهو أجل ما يمكن ان يعبر على حالة اللامعيارية السلوكية ويحرض عليها علنا وخفية. كما ينبغي الإشارة إلى أنه بفعل ما حدث ويحدث في العصر الحالي من عوامل وأحداث وتطورات في شتى مجالات الحياة ازدادت هذه الهوة وتشعبت عواملها وتأثيراتها لاسيما على المجتمعات المتخلفة التي لم تجد بدا إلا أن تنضم إلى ركب الحضارة العالمية وتدخل طوعا وكرها في خضم التحولات الحاصلة في العالم.

4-1 مظاهر أزمة الهوية في أوساط الشباب الجزائريين:

اكتسحت العولمة جميع الميادين و مست اغلب فئات المجتمع بنسب متباينة، لذا استعننا ببعض مقاطع الفيديو الموجودة على شبكات الانترنات التي لاقت عدد كبير من نسب المشاهدة والاعجاب، فقد شد انتباهنا فيديو لاحد الشبان الجزائريين في قارب بالبحر متجها مع جملة من الشباب الى شواطئ إيطاليا. اذ عبر الشاب عن فرحته بمغادرة الأراضي الجزائرية بحمده لله على ان حياته لم تنتهي بهذا البلد و يقول " اين كنت أعيش" مكررا هذه العبارة بصورة استهزاء ،و احتفل هؤلاء الشباب معبرين عن فرحهم بأغنية تتداول على السنة الشباب تقول (فلسطين الشهداء " و صرخ الشاب و قال (صرت إيطاليا) .

هذا الفيديو يعتبر صورة حية عن فقدان الشباب الجزائريين لروح الانتماء لوطنهم بسبب الظروف القاسية، فلا تحتاج هذه المشاهد الى تفسير او تحليل عميق لسهولة ووضوح الرسالة، فعبارة (صرت إيطاليا) تغني عن كثير من الحديث. وكان هذا الشاب رمى بهويته الجزائرية في عرض البحر.

فكما سبق وذكرنا ان الهوية تثبت في قلب الانسان ان إذا وفرت له حاجياته الفطرية، كالأمان والمأوى والغذاء، وحاجياته العاطفية كاللحة والوحدة والالتفاف حوله عند الحاجة. فكما يظهر من خلال وصف هذا الفيديو كما نعرفه جميعا انها ظاهرة اجتماعية تسمى(الحرقة) ولكن هذه الظاهرة لها خلفيات اجتماعية وإنسانية أدت الى تزايدها بشكل كبير، خصوصا في عصر العولمة. الذي زاد الحياة تعقيدا رغم بساطتها، ومن بين هذه الخلفيات هو تخلي الشباب عن هويتهم التي لم تقدم لهم أي شيء من وجهة نظرهم، فهم ليسوا بحاجة اليها، لذا يسعون باحثين عن هوية أخرى يصنعونها بأيديهم وايدي جهات أخرى تعمل على ذلك منذ ان دبت الحياة على وجه الأرض.

لذلك يمكن ان نقول ان الهوية بكل ابعادها سواء كانت الهوية الإسلامية او الوطنية او العرقية، صارت على المحك في ظل الازمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي خلقت ما يسمى بأزمة الهوية في أوساط الشباب الجزائريين.

وكما لاحظنا في الآونة الأخيرة ظهور عادات غريبة ادخلتها فئة الشباب الى البيوت الجزائرية وعلى المجتمعات العربية ككل، من خلال تقليدهم الاعمى للغرب من منطلق ما يسمى "(بالتحضر) حيث ظهر تقليدهم للغرب من خلال اللباس والطعام والحديث وغيرها من تلك المظاهر، فقد انصاع الشباب نحو تقليد الغرب باستغلال أوقات الفراغ. حتى أوقات الدراسة والعمل في متابعة صيحات الموضة الغربية عبر صفحات الانترنات والتلفاز، مع غياب رقابة الإطار الاسري والتربوي وسهولة الانسلاخ من عادات وقيم المجتمع.

فقد انصب اهتما الكثيرين من الشباب الجزائريين على متابعة كل جديد، فلا يختلف الذكر عن الفتاة في شدة الاهتمام عن طريق الاعتناء بالمظهر الخارجي. ليتجاوز حدود المألوف والمتعارف عليه، فأصبحت تلك الأمثلة التي تزخر بها الذاكرة الشعبية الجزائرية من الجمال والزينة متجاوزة تلك التقاليد الشبابية الجديدة عن كل ما هو مرتبط بالتقاليد دون معرفة أصولها او الهدف من اتباعها، ومن بين مظاهر التقليد التي افقدت الشباب الجزائري هويته، او الهوية الضائعة التي دفعت الشباب الى التقليد الاعمى نجد ما يلي:

1-4-1 البرسينغ:

كما نراه في الأوساط الشبابية خصوصا المراهقين سواء كانوا ذكورا او اناثا، ، فالبرسينغ يعني ثقب الانف او الاذن بثقب صغير يوضع فيه اكسيسوارات يختلف حجمه و لونه و شكله، حسب رغبة الشاب و الفتاة، مع العلم ان هذا التصرف كان يقوم به اجدادنا كأحد المعتقدات الخاطئة اذ توضع حلقة من الذهب في اذن او انف المولود الذي يلد بعد وفاة جميع اخوته السابقين و تسمى (العياشة) من باب ان هذه الحلقة ستجعل الطفل يعيش و يعطيه الحياة، و لكن شاب اليوم يعلمون ان هذا المعتقد شرك بالله، و لم تعد هذه المعتقدات تتداول في المجتمع الجزائري بسبب وعيهم و ادراكهم انها

قلة ايمان بالقضاء و القدر، فلو سألنا الشباب عن سبب وضع هذا الحلق، لن يجيبك بشئ غير إجابة موحدة دون تبرير لها،(لأنها موضة، بلا وعي منهم بخلفيات ارتدائها و القصد منها. فهذه الإجابة الموحدة تعبر رمز من رموز فقدان الهوية، وان هؤلاء المراهقين لا يهمهم ان كانت هذه الممارسات تمس بمعتقداتهم او دينهم ومجتمعهم او حتى شخصيتهم. فالبيرسينغ ليس مظهر من مظاهر الجمال. وانما كوسيلة تزيد الشباب قوة وغموض ومن جهة أخرى يراه اختلاف عن الاخرين. وبالرغم من ان الكثيرين ولا يحبذون مثل هذه التصرفات التي حاول فيها الشباب استحداث شخصية غريبة عنه لا تعكس حقيقته الاصلية والامر يرجع الى اعجابهم الشديد واعتناقهم لمثل هذه الأفكار التي لا تتطابق مع الهوية الإسلامية الجزائرية، وفي غياب الخلفية الدينية لدى بعض الشباب المقلدين للثقافة الغربية والمنسلخين من هويتهم على دراية تامة بان الرسول صلى الله عليه وسلم يمقت هذه الممارسات، بقوله صلى الله عليه وسلم" من أحب قوما حشر معهم" صدق رسول الله. فما نهى عنه ديننا الحنيف لن يكون له الفائدة بل يحمل كل ما يهدم المجتمع وعقول الشباب وعقيدتهم.

1-4-2 الوشم او التاتواج:

الوشم على جلد الانسان ليس من الظواهر الحديثة في المجتمع الجزائري والعربي صفة عامة، وامنا هي سلوكيات مارسها اباءنا واجدانا من منطلق الزينة والجمال برسم اشكال معينة على وجوههم وأيديهم بشكل دائم، ولكن هذه الممارسات تدخل فمن باب الجهل بحرمانيتها وعدم درايتهم بانها تشويه لجسم الانسان ولا يجوز شرعا ان يقوموا بذلك. بعد استقلال الجزائر وبداية انتشار الوعي الاجتماعي والفكري في الأرياف والقرى بدأت هذه الظاهرة في الاضمحلال شيء فشيء، حتى أصبحت لا تكاد تكون موجودة، ومع دخولنا في عصر العولمة عادت هذه الظاهرة الى مجتمعنا الجزائري على يد فئة الشباب، ولكن ليس من منطلق غياب الوعي الديني بحرمانيته وهذه الأفعال وانما من باب التقليد الاعمى وغياب هوية الشباب، بتبنيه أفكار لا يعي بمعانيها والهدف منه، فقط لأنها تجعله يختلف، والبحث عن الاختلاف بشكل بهذا الاتجاه يعني البحث عن هوية غير هويته. وهذا ما جعلنا مقع في ازمة هوية.

1-4-3 الألبسة الغريبة:

هي ايضا مظهر من مظاهر فقدان الاب الجزائري لهويته، فصيحات الموضة الغربية جعلت اعيننا تعتاد على رؤية مثل هذه المظاهر، فما عدنا نفرق بين لباس قديم وجديد وبين لباس الأطفال ولباس الكبار وتلك الاشكال الغريبة والمختلفة عما الفناه فلا ننكر انه بتغير الأوضاع على جميع الأصعدة في المجتمع الجزائري. تخلينا عن لباس السترة والإحتشام الذي لازم أمهاتنا وأجدانا، لنستبدله بملابس أخرى أكثر تبرجا وجرأة.

فما يهمنا في الحديث. الشباب وما موقعهم من هذه الظاهرة، فهم في صدارة إتباع الموضة الغربية بشكل لا واعي، دون دراية منهم ما سبب وضع هذه التصاميم والغاية منها، فقد وصل التقليد الاعمى وفقدان الهوية الى ان الشباب يرتدون قميص عليه عبارات مشينة ومشجعة على لا لشيء الا لان الغرب يرتدونها. فاليوم هم يرتدون تصاميم كان يرتديها اباؤنا واجدانا ويرفض شبابنا ارتدائها لأنهم يرونها قديمة وليست عصرية، ولكن بمجرد تبني الغرب لهذه التصاميم بشكل حديث وعصري توافد عليها شبابنا

واقتنوها بسرعة وتفاخروا بارتدائها. اذ صار من الصعب جدا على الفاعلين المصلحين في هذا المجتمع وإعادة غرس الهوية الجزائرية في نفوس الشباب.

5-1 الحلول المقترحة لمعالجة ازمة الهوية

– الاهتمام بفئة الأطفال وتعليمهم القيم الصحيحة وترغيبهم فيها دون افراط او تفريط، فالمشكل يكمن في ان الطفل الجزائري نقلت له صورة عن الطفل الأجنبي بانه طفل سعيد وجميل ومتعلم ومثالي وحياته مثالية أكثر، هذا ما جعل أطفالنا يفلتون مكونات هويتهم منذ الصغر ليحملوا بهوية غريبة عنهم وعن مجتمعهم.

– ادراج التربية الإعلامية كأحد أولويات التعليم الحديث في المؤسسات التعليمية الجزائرية، برسم حدود الاطلاع على عالم الانترنات ومراقبة تصرفات الطفال والشباب بشكل منظمو معقول.

– ترسيخ الاحداث التاريخية والبطولية ذه البطولات في المقررات الدراسية للعمل على غرسها في اذهان المتمدرسين في جميع المستويات التعليمة. وتدريسها، من قصص الأنبياء وصولا الى انتصارات اجدادنا واباءنا والتحدث عن الشخصيات الإسلامية لتكون قدوة يحتذى بها وتدريس هذه القصص البطولية في المقررات الدراسة لغرسها في اذهان المتمدرسين على جميع المستويات.

– ابراز مساءي التقليد الاعمى وانعكاساتها على الشباب الجزائريين من خلال حملات توعوية بطرق متطورة لجذب انتباه هذه الفئات واسترجاع الهوية الجزائرية.

– تنصب اغلب المسؤولية على الاهل بالدرجة الأولى والمجتمع المدني بالدرجة الثانية، اذ يستوجب عليهم اختيار جماعة الرفقة لهؤلاء الشباب، خصوصا انتهم في فترة مراهقة وما تحمله من تقلبات نفسية وفيزيولوجية قد تؤدي بالشباب الى الميل لاتجاهات وأفكار غريبة ودخيلة عن مجتمعنا قد تداولها أصدقائه.

– تبقى للحكومة الجزائرية مسؤوليات تنفرد بها عن بقية مسؤوليات المجتمع المدني الفاعل في هذا المجتمع، وهي توفير مناصب شغل للشباب كحق من حقوقهم على هذا البلد طالما انهم منتين اليه، وهذا ما يقلل من نسب البطالة التي ضيقت على الشباب بصورة خانقة والتي بدورها أدت الى احداث ازمة الهوية.

2- الخاتمة:

من السياسات الاستعمارية في الجزائر. ان تعمل على محو الهوية الجزائرية واستئصالها من جذورها واستبدالها بهوية فرنسية مسيحية كأحد مخططاتها للسيطرة على الشعب لمنع التمرد والعصيان، لم تنجح هذه السياسة طيلة فترة الاستعمار، نظرا لتمسك الشعب الجزائري من كل فئاته بمقومات هويتهم الإسلامية والعربية الجزائرية، بالدفاع عنها بأنفسهم بالرغم من طول زمن الاضطهاد عليهم، الا ان المقاومة استمرت وبقيت الهوية راسخة في الأصول الجزائرية، وما يؤسفنا اليوم انه في وقت قصير جدا من الزمن ضاعت جل مقومات الهوية على ايدي جملة من الشباب الذين نامل بان يكونوا شعلة تثبت جذورنا عبر التاريخ، فلا يحق لنا ان نعذر الشباب الجزائري عن تبنيه لأفكار و معتقدات مغايرة و معاكسة لهويته ونعيد اللوم على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية التي يعيشها المجتمع، فقد عايش اجدانا ظروف الجوع والفقر و المرض والاضطهاد و لكن لم يتخلوا عن الهوية،

فبالرغم من سياسة التجهيل الا ان عقولهم واعية بنتائج التفريط في الأصول الإسلامية و الوطني، ليجد المجتمع الجزائري نفسه متخبطا في ازمة الهوية في فئة الشباب و امل هذا المجتمع في الإصلاح و التغيير لا التقليد و تبني الحضارة دون وعي بخلفياتها.

قائمة المراجع:

1-com.3https://mawdoo

2-صومائيل-ب-هنتكتون، من نحن-التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دار الحصاد، دمشق ط1، 2005

3-حبيب صالح مهدي، دراسة في مفهوم الهوية، مركز الدراسات الإقليمية، هيئة التعليم التقني، دت.

4-أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.1988

5-سليمان مظهر، علم النفس الاجتماعي) نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية- مصدر المجابهة(، منشورات ثالثة، الأبيار، الجزائر2010

6-نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1988